وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ
أَصَابَ ٱلْحُدورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ(١)

سبقنا إلى الدنيا

وقال يعزيه بعبده يماك وقد توفي في شهر رمضان سنة أربعين وثلاث مئة»:

[الطويل]

[و] لَا يُحْزِنِ اللَّهُ الأَمِيرَ فَإِنَّنِي
سَآخُذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ(٢)
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى
بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبِ(٣)
وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ
حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِي(٤)
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَحِبَّةَ قَبْلَنَا
وَأَعْيَا دَوَاءُ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ(٥)
سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا
مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهُوبِ(٦)

---

(١) الحدور: المنحدر من الأمكنة. يمدح الشاعر ممدوحه بأنه يقدر على امتلاك القلوب والمشاعر، فقد استقرّت في العيون صورته المحبَّبَة، مما سهّل عليه أصعب الأمور التي يستحيل على غيره تحقيقها.

(٢) يدعو الشاعر ألّا يحزن اللّه الأمير، فالمصاب أليم جلل، وهو على استعداد ليشارك ممدوحه المصاب علّه يخفّ محمله بالمشاركة الوجدانية.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٩. يتابع الشاعر التعبير عن ألم المصاب، فقد نزل بمن يعمل على مسرّة الناس بما يقدّم لهم، وها هو الآن يبكي فإذا بمن شاركهم أفراحهم وسرورهم يبكون لبكائه، وقد أرعب قلوبهم حزناً وألماً.

(٤) و (٥) الدفين: الميت. يُعلن الشاعر عن حبّه العظيم لمن يحبّه ممدوحه؛ فالميت حبيب حبيبه، فهو يحبّه بدوره لمحبّة حبيبه له. والقانون الصارم الذي لا يحيد عنه مخلوق؛ فالموت مصير كلّ مخلوق ولا مفرّ منه، وهنا يبطل كلّ دواء ويبوء كلّ طبيب بالفشل.

(٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٩. يقول الشاعر والألم يعصر =

تَـمَـلَّـكَـهَـا الآتِـي تَـمـلُّـكَ سَـالِـبٍ
وَفَـارَقَـهَـا الْـمَـاضِـي فِـرَاقَ سَـلِـيـبِ[١]
وَلَا فَـضْـلَ فِـيـهَـا لِـلـشَّـجَـاعَـةِ وَالـنَّـدَى
وَصَـبْـرِ الْـفَـتَـى لَـوْلَا لِـقَـاءُ شَـعُـوبِ[٢]
وَأَوْفَـى حَـيَـاةِ الْـغَـابِـرِيـنَ لِـصَـاحِـبٍ
حَـيَـاةُ امْـرِىءٍ خَـانَـتْـهُ بَـعْـدَ مَـشِـيـبِ[٣]
لأَبْـقَـى يَـمَـاكٌ فِـي حَـشَـايَ صَـبَـابَـةً
إِلَـى كُـلِّ تُـرْكِـيِّ الـنِّـجَـارِ جَـلِـيـبِ[٤]
وَمَـا كُـلُّ وَجْـهٍ أَبْـيَـضٍ بِـمُـبَـارَكٍ
وَلَا كُـلُّ جَـفْـنٍ ضَـيِّـقٍ بِـنَـجِـيـبِ[٥]

= قلبه: إن أفواج الحياة تتوالى منذ كان الوجود، وهم يمرون سِراعاً يتخطّفهم الموت بلا رحمة، ولو أن الأجداد لا يزالون على قيد الحياة لما وسعت الأرض أحداً، ولضاقت الأرض عليهم بما رحُبت.

(١) والناس بين سالب ومسلوب، ولكل منهما فرصته على هذه الأرض، فهو سالب تارة ومسلوب أخرى، فهو يترك كلّ شيء والألم يعتصر قلبه.

(٢) ورد البيت في: معاهد التنصيص، للعباسي ١: ١٠٨. الشعوب: من أسماء المنيَّة. فكرة الخلود البشري تُفقد بني الإنسان فكرة النضال في هذا الوجود؛ فالجبان لا يخاف الشجاع، والبخيل لا يخاف فقراً، والمريض لا يفكر بالموت، سواء جزع أم تشجّع لعلمه بالنتائج مسبقاً ممّا يضعف فيه الدوافع الضرورية لقيام الحياة واستمرارها.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٩. لا يستقيم وفاء الدنيا لامرئ منذ كان الوجود حتى قيام الساعة؛ فحتى من ألمّت به الشيخوخة وخضّبت شعره بالمشيب فلا بدّ له من الرحيل.

(٤) النجار: الأصيل، الجليب: المجلوب، ولو استقام أمر البقاء على قيد الحياة لكان يماك مولى سيف الدولة التركي حيًّا، فقد ترك موته في نفس الشاعر ألماً وحزناً.

(٥) النجيب: الذكي، الألمعي. يرى الشاعر أن البياض لا يعني الذكاء وحِدّة من كان أبيض ضيق الجفن؛ فإن كان يماك تركياً فليس ذلك يعني أن الأتراك على شاكلته حِدّة ذكاء ونبوغ، فهو نادر فيهم ومن هنا حبّه له.